

تقريب

فارس الخورى الشاعر :

استفاض الحديث في مصر وفي الشرق العربي ، بل في العالم أجمع عن فارس الخورى ممثل سورية في مجلس الأمن ورئيس المجلس في دورته الحالية ، واستفاض الثناء عاطراً في جميع الدوائر على ما أبدى في هذه الرئاسة من أصالة وكياسة ، وشهدت البرقيات التي أذيعت في العالم بأنه « خير من رأس المجلس إلى الآن » ، وأنه يدير دفة الاجتماعات بدقة فائقة تتأخص في التقليل من الكلام والإكثار من العمل وحسم الأمور حتى استطاع أن يعمل في ثلاثة أسابيع ما لم يستطعه أحد من رؤساء المجلس السابقين .. »

وفارس الخورى — بارك الله في حياته — في الثامنة والستين من عمره الآن ، وهو من الرعيل الأول من رجال الوطنية في سورية . كان محامياً في دمشق ، وكان أستاذاً في كلية الحقوق ، وكان مراراً ، ورئيس وزارة ، ورئيس المجلس النيابي ، رئيساً من أبناء هذا الجيل من يدري أن هذا الديامي المحنك قد طلع حياته من الشعراء الناشئين والكتاب البرزين ، وأنه في مطلع هذا القرن ، أي منذ أربعين عاماً ، كان يملأ صحف مصر بسورته في منظوماته وكتاباتاته ، وإني لأذكر له من ذلك تخميماً الرامية إلى زبدة المشهورة نظمه في سنة ١٩٠٦ وفيه يقول :

الطيب في النوم يرضينا إذا عبرا

إن عزت المين صرنا نطلب الأثرا
لا تمجيداً إن صبرنا نحمل القدرا

إنا قرأنا الأسمى يوم النوى سورا

مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

ترضى أن يبدل العز أكله والجسم ينحل سقما من تحمله
ولا عن فيض جدوله أما هواك فلم تعدل بمنهله
شرباً وإن كان يروينا فيظلمينا

وأعمرضنا على وصب نكتم الناس ما في القلب من لخب

فا أخذنا تجافينا بلا سبب ولا اختياراً تجنباك عن كشب

لكن عدتنا على كره عوادينا

ضافت على رجبها الدنيا فلا سعة نحوى فؤاداً وأحشاءاً مقطعة

نأسى إذا الشمس جازتنا مودعة نأسى عليك إذا حشت مشعشعة

فينا الشمول وغنانا فذينا

لاشئ يسكن شيئاً من بلابلنا ولا نرجى عزاء من وسائلنا

ظمان الأنس شالت عن منازلنا

لا أكوؤس الراح تبدى من شمائلنا

سبما ارتياح ولا الأوتار تسلينا

وفي سنة ١٩٠٥ قامت الحرب بين روسيا واليابان ، وحدث

فيها ما حدث من الوقائع والفظائع ، ومنبت فيها روسيا بهزيمة

منكرة لم تكن في الحسبان ، فأنخذ فارس الخورى من مشاهد

تلك الحرب الضروس موضوعاً للمحمة شعرية تتألف من أربع

قصائد ألم فيها بالأسباب التي دعت إلى إشهار تلك الحرب وذكر

المارك والمواقع البحرية والبرية التي جرت بين الصفر والبيض ،

وفتح للانفعالات الدفسانية والتخييلات الشعرية مجالا رحباً في

الوصف حتى جاءت تلك الملحمة مزيجاً من التقرير التاريخي والخيال

الشعري ، ولما كان ولي عهد روسيا يومذاك قد ولد أثناء تلك

الحرب فقد ختم ملحمة متوجهاً إليه بهذه الأبيات :

ها أنت تنمو في رعاية والد حان يذود السوء عنك ويطرد

والبعض من أبناء جيلك لا أب يحنو عليهم إن بكوا وتهدوا

أبائهم سقطوا بساحات الرغى ليوسسوا لك دولة ويمجدوا

فإذا نعوام ملكت فارفق ذا كراً حق الذين على ولاك استشهدوا

وعساك تنشأ عادلا لا تدعى أن الجميع لأجل عرشك أوجدوا

فاللك جسم والعدالة درعه درع بمحبوك الحديد مسرد

واللك بستان أعز سياجه عدل به ربح الخناوف تركد

يتوقع الإصلاح منك ولينا نحيا لنعرف ما يجرى به الفد

ولقد تمت الأمنية للشاعر ، فماش — بارك الله في حياته —

حتى رأى ما جاء به الفد ، وعلم ما كان من مصير القيصر وولى

العهد ، فقبرت الدنيا وتبدت الأوضاع ، فقامت دولة مكان دولة

وظهرت شريرة على أنقاض شريرة ، ولكن غريزة الوحش في

الإنسان لم تتغير ، فزال يستعمل نابه وظفروه في قتل أخيه

وإني - وأنا من فريق الشبان - لأوافق الأستاذ الكبير على ما قال ، فالقوة هي ضمان الشهرة والبقاء ، فإذا ملكها الشبان فلن يكون الشيوخ عائقاً أمامهم ، ولكن يظهر أن إخواننا الشبان لا يدركون المسألة على حقيقتها ، ولا يحسون أن يدركوها على حقيقتها ، ويحسبون أن في استطاعتهم الصمود إلى القمة بخطوة قدم ، ويحسبون أن هؤلاء الشيوخ قد بلغوا ما بلغوا من المجد والشهرة بمثل هذه الخطوة ! !

كلا أيها الإخوان ...

لقد حدثني الأستاذ المازني قال : لقد قرأت كتاب الأغاني في مطلع حياتي ، وقد عمدت إلى فك أجزائه إلى ملازم ليسهل علي حملها أينما سرت ، وقد عنتت أثناء القراءة بتصحيحه وإكمال القصائد التي فيه ، ونسبة الأبيات المجهولة إلى قائلها والاستدراك على تراجم الشعراء ، وكنت أكتب هذا كله في ورق أبيض وألحقه بالمطبوع ، ثم جللت الكتاب فكان في ضعف حجمه ، وكانت هذه النسخة عزيزة على نفسي ، ولكنني فقدتها في محنة من عن الدهر ، فأورثتني حسرة لا تزال عالقة بقلبي إلى اليوم . حدثني الأستاذ المازني بهذا الذي صنعه في مطلع شبابه ، وكنت منذ أيام أتحدث إلى أحد الشبان الأدباء عن كتاب الأغاني هذا فشمخ على قائلاً إن من العبث ضياع الوقت في كتاب الأغاني وغيره من تلك الكتب القديمة البالية التي أصبحت لا تجدي ...

مرة أخرى أقول لكم : كلا أيها الإخوان ، إن الأمر أشق مما تقدرون ، فاصرفوا هذا التمرد إلى ما يجدي من الجهد النافع .

سؤال :

في العدد السابق من الرسالة قرأت في مطلع المقال الخامس من تلك السلسلة التي يدبج حلقاتها الأستاذ على الطنطاوي بعنوان « على تلوج حزوين » ما يلي :

« أقامت ليلى في دار أسعد شهرين محمولة على الأكف ، مفداة بالأرواح ، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية ، وأحيطت بكل مظاهر الترف ، وسبق لإسماعيل ما وصلت إليه الحضارة وأبدعه العقل ، فلا ترى إلا جيلاً ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع

الإنسان ، وماذا كانت تلك الحرب « الروسية اليابانية » أيها الشاعر إلى جانب ما شاهدت ورأيت بعد ذلك من أهوال حربين طليتين لا تزال آثارهما ماثلة للعيان ، أنت اليوم أيها الشاعر رئيس لمجلس الأمن ، فقل لأندادك في ذلك المجلس من ممثلي الدول : أحقاً أنتم أيها الإخوان حراس الأمن ، أم مبررون للظلم وأن الحقيقة المرة هي كما يقول شوقي :

- وعصر بنوه في السلاح وحرصه على السلم يجرى ذكرها ويدبر ومن عجب في ظلها وهو وارف يصادف شمباً آمناً فيغير ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ويودي جيوشاً كالخصى ويمير

سُبُوحٌ وَسُبَّانَةٌ ...

قال لي الأستاذ العقاد : « إنني لا أفهم معنى لهذا الكلام الذي يقال عن الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان ، وإني لأعجب لفئة من الشبان يهتمون الأدباء الشيوخ بأنهم يظلمونهم ويسدون أمامهم باب الشهرة والظهور ، ويصورون المسألة على أنها حزازة بين الفريقين ، وعداوة بين الطائفتين ، إلى آخر ذلك الكلام الذي يثار ويقال ، والواقع أنه ليس هناك أدب شيوخ وأدب شبان ، وإنما هناك أدب قوة وأدب ضعف ، فالقوة هي عامل الظهور والشهرة ، وضمان البقاء والخلود ، ولن يتأتى هذا إلا بالدراسة والاطلاع وبذل الجهد في ذلك إلى آخر ما تحتمله الطاقة ، ولكن إخواننا الشبان يحسبون أن من الكفاية في إدراك هذا قراءة كتاب أو كتابة مقالة في صحيفة ، وهذا هراء في التفكير ، وهراء في التقدير ... »

« لقد كنا شباناً ، فاجدنا من أخذ بأيدينا ، أو أفسح لنا الطريق ، ولكننا صعدنا وشققنا طريقنا بدافع القوة والجهد ، ولأزلنا إلى اليوم على هذا ، فأدباء الشيوخ أشد شغفاً بالقراءة والدراسة وبذل الجهد ، وهم يسيطرون على الحياة الأدبية لأنهم يواجهون الحياة الأدبية بما تستحق من حشد القوة وطول الصبر وخير للأدباء الشبان أن يدركوا هذا ، وأن ينصرفوا إلى تكوين شخصياتهم ، وأن يدخروا لأنفسهم قوة من المحصول الثقافي يمكنهم أن ينالوا بها الشهرة التي يريدون ... »